التعايش السلمي بين المسلمين والهنود خلال العصر الإسلامي

ياسر عبد الجواد المشهداني *

تأريخ التقديم: 2019/4/15 تأريخ القبول: 2019/5/12

المستخلص :

بات من البديهي لكل المؤرخين أن العلاقات العربية الهندية قبل الإسلام كانت ودية وجارية وفق أكمل وجه وفي مختلف الأصعدة . وبعد مجيء الدين الإسلامي وانتشاره خارج شبه الجزيرة العربية ومن ثم دخوله في منطقة شبه القارة الهندية منذ نهاية القرن 1هـ/ 7م (في مناطق السند والبنجاب خاصة) تعززت تلك العلاقات بين المسلمين والهنود خاصة عندما اطلع سكان البلد الأصليين على تقاليد وتعاليم الإسلام السمحة الداعية الى مبادئ المحبة والمساواة والتعاون عبر عدة آيات نصها القران الكريم وكان إحداها (لا إكراه في الدين) .

في الواقع تأتي أهمية البحث في ان الدين الإسلامي دخل تلك المناطق مخترقا مجتمعا متشابك الأديان ، قديم الحضارة ، ومتعدد العقائد ، وتمكن بفضل التطبيق الصحيح لمبادئه عن طريق القادة العسكريين والعلماء والتجار وغيرهم من المسلمين الذين دخلوا البلاد واثروا في نفوس أهلها بتعاملهم الأخلاقي الذي لا يخلو من المصداقية في التعامل ، وتحقيق الخير والفائدة للجميع ، ولعل الأمر الذي أكد المحبة بين الطرفين هو بقاء المسلمين سادة في شبه القارة الهندية لأكثر من ثمانية قرون .

الكلمات المفتاحية : حرب؛ انقسام؛ اقتتال.

أولا : في معنى التعايش :

بالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش ، التي هي الأصل في اشتقاق الاصطلاح، نجد في المعجم الوسيط ان أصل الكلمة من الجذر : عاش ، وتعايشوا : عاشوا على الألفة والمودّة ، ومنه التعايش السلمي ، وعَايَشَه : عاش معه. والعيش معناه الحياة ، وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل [1].

---

* أستاذ مساعد / قسم التاريخ/كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/ جامعة الموصل .

(1) الفيروز ابادي : محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم : القاموس المحيط ،(بيروت – لات)

وإذا دقّقنا في مدلولات مصطلح التعايش (Coexistence) فإن السياسة الدولية عرَّفته على أنه قيام تعاون بين دول العالم ، على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية ، حيث ظهر هذا المصطلح بعد الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم إلى معسكرين متقاتلين.

ثانيا : التعايش السلمي في التاريخ الإسلامي

وحقيقة الأمر ، ان الإسلام لا ينكر الأديان الأخرى ، بل يشجع التعايش معها في أمان وسلام، وفي التاريخ الإسلامي الدليل الواضح على ذلك ، فقد عقد رسول الله (ﷺ) العهود والمواثيق مع اليهود، التي تضع أسس العيش المشترك ، مع الاحتفاظ بدينهم وبشريعتهم التوراتية. وتعامل الصحابة والخلفاء مع النصارى والمسيحيين ، واحترموا عقيدتهم السماوية ، التي جاء بها السيد المسيح (عليه السلام) . ولو تمعنا في صحيفة المدينة (الوثيقة) التي اقرها النبي لوجدنا انها تحوي على العديد من المنطلقات في التعامل مع اهل الذمة وخاصة اليهود من ساكني المدينة . قال تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) (1) .

وفضلا عن ذلك وقبله، فإن الإسلام أوجب الإيمان بجميع الرسل وعدم التفرقة بينهم، قال الله تعالى: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (2).

ج1، ص 773؛ إبراهيم مصطفى واخرون : المعجم الوسيط ، تحقيق : مجمع اللغة العربية(دمشق – لات) ، ج2 ، ص 189 .

(1) القران الكريم : سورة ال عمران / اية 64 .

(2) القران الكريم : سورة البقرة / اية 285 .

إن الثقافة والحضارة الإسلاميتين منفتحتان على حضارات الأمم، ومتجاوبتان مع ثقافات الشعوب، وهما مؤثرتان ومتأثرتان. ومبدأ عالمية الإسلام، هو الأساس الثابت الذي تقوم عليه علاقة المسلم مع أهل الأديان السماوية

والتسامح في المنظور الإسلامي هو ثمرة التصوّر الإسلامي للإنسان الذي يقوم على أساس معيارين اثنين، أولهما تحديد غاية الوجود الإنساني، التي يتخذ الإنسان الأسباب لتحقيقها، ومن ثم الالتزام بالأسباب التي تتواءم مع هذه الغاية ولا تصادمها، وثانيهما هو مدُّ الوعي بالوجود الإنساني إلى ما وراء الحياة الدنيا القصيرة الفانية ، إلى الحياة الخالدة الباقية. لقد خلق الله الإنسان لأهداف أخرى غير التي خلق الحيوان من أجلها، ولم يكن خلقه مجرد إضافة حيوان جديد إلى قائمة الحيوان ، إنما كان إيجاد جنس آخر من الخلق، خلقه الله بقدرته ، ليعبد الله على وعي ، ويعمر الأرض بمقتضى المنهج الرباني ، ومن أجل هذه الغاية وهب له ما وهب من المزايا، وأنزل الكتب لهدايته على أيدي الرسل الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، وكان من أهداف إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط[1] .

ولو ذهبنا نستقرئ شواهد التاريخ ، لما استطعنا أن نحصر في بحث محدود المجال، الأمثلةَ الحيَّةَ على التعايش الإسلامي العديم المثال مع أهل الأديان جميعاً ، السماوية منها ، وغير السماوية ، في حين لا نجد أيَّ مظهر من مظاهر التسامح والتعايش في أدنى مستوياته، لدى غير المسلمين أحيانا .

شهد العصر الإسلامي تسامحاً وعدلا وأمانا لأهل الذمة فقد اوصى القران الكريم بهم : قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [2] كما ونهى القران عن اكراههم في الدين ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [3] ، كما واوصى الرسول (ﷺ) بهم قبل وفاته : عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **إن الله أعطى كل ذي حق حقه وإن الله**

---

(1) د. عبد العزيز التويجري : الإسلام والتعايش ، منشور على شبكة الانترنت . موقع www. Balagh.com :

(2) القران الكريم : سورة العنكبوت / اية 46 .

(3) القران الكريم : سورة البقرة / اية 2562 .

فرض فرائض و سن سننا وحد حدودا وأحل حلالا وحرم حراما وشرع الإسلام وجعله سهلا سمحا واسعا ولم يجعله ضيقا . يا أيها الناس إنه لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له ومن نكث ذمة الله طلبه الله ومن نكث ذمتي خاصمته ومن خاصمته فلجت عليه ومن نكث ذمتي لم ينل شفاعتي ولم يرد علي الحوض " (1) وسار الخلفاء على ذلك ، وكمثال على ذلك التسامح من العصر الاموي : افتتح الخليفة معاوية بن أبي سفيان عهدًا جديدًا من التسامح مع أهل الذمة ، فقد عين لولده يزيد مربيا مسيحيا ، كما كلف الخليفة يزيد بن معاوية كاهنا مسيحيا بتثقيف ولده خالد، وعامل المختار بن أبي عبيد الثقفي أهل الذمة معاملة حسنة ، أما القائد الحجاج بن يوسف الذي اتهمه المؤرخون باضطهاد أهل الذمة فقد كان عامله بخراسان يبني لأهل الذمة البِيَع وقد سمح له الحجاج بذلك، وكان الأخطل الشاعر النصراني يحظى باحترام جميع المسلمين . كما تمتع أهل الذمة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز بكثير من عدله ورحمته ، فقد أمر عماله بألا يهدموا كنيسة أو بيعة أو بيت نار صُولح أهلُ الذمة عليه ، كما نهي عمر بن عبد العزيز عامله على الكوفة عن اتباع سياسة الحجاج التي تقضى بإرجاع أهل الذمة إلى قراهم. وكتب الخليفة عمر إلى عامله بالكوفة – أيضا – أن يعطي أهل الذمة ما بقى من خراج الكوفة فيسدد ديونهم، ويساعد من أراد الزواج منهم، ثم ختم رسالته بقوله " قووا أهل الذمة فإننا لا نريدهم لسنة أو سنتين " وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) يجعل صدقات بني تغلب – القبيلة المسيحية – في فقرائهم دون ضمها إلى بيت المال . وهنا يشهد احد المستشرقين بعدالة المسلمين في التعامل مع اهل الذمة وهو غوستاف لوبون حيث يقول : " **والحق ان الامم لم تعرف فاتحين راحمين مسالمين مثل العرب ولا ديناً سمحاً مثل دينهم** " . حيث سمحوا لهم بتجديد وترميم الكنائس وممارسة طقوسهم الدينية واحتفالاتهم . وقد أيَّد المستشرق ديمومبين اهتمام المسلمين باهل الذمة بقوله: " **إن أهل الذمة احتلوا مكانة بارزة من حياة الدولة الأموية وكثر عددهم في**

---

(1) أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي : مسند أبي يعلى ، تحقيق : حسين سليم أسد دار المأمون للتراث(دمشق– 1984) ج4 ، ص 343 .

الدواوين والمصالح، وزاد المستشرق بارتولد عليه بأن النصارى والفرس كانوا يقومون ببناء المساجد والقصور [1] .

ثالثا : أمثلة من التعايش السلمي بين المسلمين والهنود خلال العصر الإسلامي

تنبه الخلفاء الراشدون والأمويون على حد سواء إلى أهمية تلك البلاد السياسية والاقتصادية وأهمية نشر الإسلام فيها فأرسلوا عدداً من البعوث الاستكشافية لغرض توثيق معلوماتهم عن الهند قبل إمكانية فتحها فتحاً مباشراً وجمع المعلومات عن جغرافية ومسالك تلك المناطق وطبيعتها فوصفها بعضهم على أنها أرض كثيرة الخير والموارد والمعادن "**فبأرضها شجر العود وببحرها الدّر وبجبلها الياقوت**"[2]. وقد تسنى للعرب المسلمين فتح السند في العهد الأموي في حكم الخليفة الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-715م) عندما كلف عامله على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي بإعداد حملة عسكرية لفتح السند فأرسل الحجاج بدوره أحد قادته وهو محمد بن القاسم الثقفي للقضاء على القرصنة وفتح السند، وتمكنت الحملة من تحقيق أهدافها سنة 95هـ/713م[3] وبعد الفتح العربي الإسلامي للسند بدأت العلاقة تنمو تدريجياً بين المجتمع الهندي والمجتمع العربي الإسلامي إذ أن العرب المسلمون كانوا يعيشون في بادئ الأمر بمعزل عن الهندوس (غالبية سكان الهند) بسبب الاختلاف الكبير في العقيدة والتقاليد وكان العرب المسلمون يدركون أنهم بين أناس لا تربطهم بهم أية صلة[4] فوجد الإسلام نفسه أمام عدد من الأديان الوضعية والتقاليد الغريبة [5] .

---

(1) توفيق سلطان اليوزبكي : دراسات في النظم والحضارة الإسلامية ، دار الكتب (الموصل – 1979) ص 77 .

(2) أبي القاسم عبدالله بن خرداذبة : مسالك الممالك، مطبعة بريل (ليدن – 1889)، ص70 ؛ أبي حفص عمر زين الدين ابن الوردي : خريدة العجائب الغرائب، مطبعة عثمان أفندي، (القاهرة – 1863) ، ص231.

(3) عن عملية فتح السند وأسبابها . ينظر : احمد بن يحيى بن جابر البلاذري : فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب، (بيروت – 1978)، ص420-421.

(4) محمد مرسي أبو الليل : الهند في العصور الوسطى، (القاهرة – لات)، ص126.

(5) من اهم اديان الهند : الهندوسية : هي دين الغالبية في الهند وليس لها مؤسس واحد يمكن الرجوع إليه كمصدر لتعاليمها، ولكنها تجمع بين الوثنية والآراء الفلسفية السامية والزهد، وقد دخلت الهندوسية

غير أن المسلمين تمكنوا من تحدي الظروف وإقامة مجتمع إسلامي عظيم كما فعلوا في مصر وشمال أفريقيا وغيرها من المناطق[1] وبمرور الزمن اختلط العرب المسلمون بالهندوس وتعرفوا على أخلاقهم وأثروا كثيراً في عاداتهم وتقاليدهم[2] فدخل الكثير منهم الإسلام عن طواعية .

ولا شك أن سياسة التسامح الديني والمعاملة الحسنة التي اتبعها الفاتحون العرب المسلمون في الهند من تطبيقهم لمبادئ الإسلام وشعائره جعلت الهنود يتأثرون بتعاليم هذا الدين ويسارعون إلى الدخول فيه[3] تخلصا من نظام الطبقات الهندي البغيض .

ومن ثم تواصلت التبعية السياسية والدينية تقام باسم الخليفة العباسي ، الذي كان يخطب له في مساجد مدن السند الإسلامية الرئيسية ، لا سيما (الملتان) Multan[4]

أرض الهند مع الآريين الذين نزحوا من الأقاليم الغربية حوالي سنة (1500 ق.م). وهي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية . وكانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، كما أن فيها دعوة إلى التصوف والخشونة ونبذ الترف والمناداة بالمحبة والتسامح وفعل الخير. وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة، ذات طابع وثني .وكذلك الجينية ديانة منشقة عن الهندوسية، ظهرت في القرن 6ق.م على يدي مؤسسها مهافيرا وما تزال إلى يومنا هذا . إنها مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد، داعية إلى التحرر من كل قيود الحياة والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر. وهي تقوم على رياضات بدنية وتأملات نفسية عميقة بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتنقيها. ينظر : أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني : الملل والنِحل، دار المعرفة، (بيروت – 1975)، ج2، ص9–10.

(1) شاخت وبوزورث : تراث الإسلام، ترجمة محمد زهير السمهودي، سلسلة عالم المعرفة، (الكويت – 1978)، ج1، ص195.

(2) أبو الليل : المرجع السابق، ص126.

(3) حسين علي الطحطوح : مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في الهند، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، (جامعة الموصل – 1979) ، ص38.

(4) مدينة كبيرة في السند من أهم المدن التي فتحها المسلمون وكان في معابدها ذهب كبير فسميت بفرج بيت الذهب. ينظر : أبي اسحق إبراهيم بن محمد الاصطخري : المسالك والممالك، تحقيق : نولدكه (ليدن ، مطبعة بريل – 1927) ، ص102–103 ؛ شمس الدين أبي عبدالله المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن، مطبعة بريل – 1906) ، ص485.

والمنصورة[1] وغيرها. وتواصلت الإدارة العربية الإسلامية للسند بقية العصر الأموي ومن ثم خضعت للنفوذ العباسي حتى سنة 365هـ/975م عندما تمكن الفاطميون من إرسال دعاتهم ومد نفوذهم إلى بعضها وفي تلك الآونة ظهرت إلى الوجود السلطنة الغزنوية التي قامت على أنقاض الإمارة السامانية في خراسان على يد سبكتكين بن البتكين [2] وتوسعت بحدودها نحو الهند فكان الفتح الأكثر شمولية وتنظيماً على عهد السلطان محمود الغزنوي حيث تمكن من الانتصار على ملوك الراجبوت الهنود[3] ونشر الإسلام في أقاليم متعددة من الهند سنة 400هـ/1009م[4] حتى دخل تحت سلطته الكثير من ملوك الهند وهادنوه على الخضوع والطاعة[5] فكان مثالاً كبيراً للقادة الفاتحين الذين تمكنوا من نشر تعاليم الإسلام وأحكامه في

(1) هي إحدى مدن السند وهي مدينة إسلامية فيها مساجد كثيرة وتسمياتها عديدة منها أنها فتحت في عهد الخليفة العباسي المنصور، أو أن الذي فتحها قال نُصرنا. ينظر : عماد الدين إسماعيل بن محمد أبو الفدا : تقويم البلدان، دار المطبعة السلطانية، (باريس – 1840) ص359.

(2) غزنة مدينة واسعة وكبيرة تقع في أوائل الهند من جهة خراسان ومؤسس هذه الأسرة تركي الأصل وكان وثنياً وأسر في أحد الحروب القبلية وبيع في الأراضي السامانية فأسلم. ينظر : زكريا بن محمد بن محمود القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت، (بيروت – 1960)، ص428 ؛ شاخت وبوزورث : المرجع السابق، ج1، ص181.

(3) حكام الهند الوثنيون بدأوا حكمهم في بداية ق 7م /1هـ، وسيطروا على الجزء الشمالي والجنوبي من الهند. ينظر: هان أميلي : الهند، ترجمة عفاف محمد فؤاد، دار المعارف، (القاهرة – 1964) ، ص20.

(4)غريغوريوس أبي الفرج هارون ابن العبري : تاريخ الزمان، نقله إلى العربية أسحق رملة، قدم له جان موريس فييه، دار المشرق، (بيروت – 1986)، ص79 ؛ غوستاف لوبون : حضارات الهند، تحقيق عادل زعيتر (نابلس – 1945)، ص222 ؛ الطحطوح : المرجع السابق، ص54.

(5) يقال أن عادة قطع الإصبع كانت من الأدلة على الخضوع والطاعة لدى ملوك الهند، وكان أمراء الأقاليم في الهند يقطعون أصابعهم ويقدمونها إلى السلطان محمود الغزنوي. ويذكر أنه كان لدى السلطان محمود من أصابع من هادنه الكثير. ينظر : ابن العبري : تاريخ الزمان، ص82 ؛ آدم ميتز : الحضارة الإسلامية حتى القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة، دار الكاتب العربي،
(بيروت – 1967)، ج2، ص29.

الهند[1] ثم استطاع السلطان شهاب الدين محمد الغوري مؤسس الدولة الغورية[2] من التوسع في الهند على حساب الدولة الغزنوية وتمكن من إخضاع عدد كبير من مدنها المهمة لاسيما مدينة أكرا Agra ومدينة كوالير Kawaler وقلعة بهنكر وأسر العديد من ملوكهم وغنم من أموالهم[3] كما استطاع فتح مدينة دلهي[4] أكبر مدن الهند سنة 584هـ/1188م وبنى مساجد وعمارات متعددة [5] وكان قبل وفاته قد أقطع أحد مماليكه وأمرائه حكم مدينة دلهي[6] فأنشأ فيها أسرة تحكم باسم المماليك لتتعاقب على الحكم خمس اسر بين (648-932- 1248-1523م) ثم ياتي بعدها العصر المغولي .

شهد العصر الإسلامي في الهند أمثلة كثيرة جدا للتسامح والتعايش السلمي جسده المسلمون بأخلاقهم ومبادئهم السمحة ، وسكان الهند من الهندوس وغيرهم بتواضعهم ومحبتهم للمسلمين وإشاعتهم وتعزيزهم لفرص التآخي والتسامح من اجل العيش المشترك . ونورد أدناه اهم تلك الأمثلة وفق التقسيم الحضاري كما هو مبين .

---

(1) J.L. Nehru : Discovery of India, (London – 1956), P., 335.

(2) الدولة الغورية نسبة إلى غور مدينة بين هرات وغزنة من أقاليم ما وراء النهر أنشأها سنة 584-602هـ/1186-1205م. ينظر : محمد إسماعيل الندوي : تاريخ الصلات تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح، (بيروت – لات) ، ص136.

(3) عز الدين بن الأثير : الكامل في التاريخ، المطبعة الكبرى، (القاهرة – 1967)، ج12، ص120 ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، (القاهرة – لات) ج3، ص24.

(4) دلهي أو دهلي Delhi مدينة كبيرة الساحة كثيرة العمارة يمر بها نهر كبير وغالب أهلها مسلمون وتقع وسط الهند. ينظر : أبو الفدا : تقويم البلدان، ص359 ؛ أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن بطوطة : رحلة ابن بطوطة، دار صادر، (بيروت – 1964)، ص415.

(5) ابن الأثير : المصدر السابق، ج2، ص212-213.

(6) أبو الفدا : المختصر ... ج3، ص25-26.

1) **من امثلة التعايش السلمي في الجوانب السياسية والإدارية والعسكرية**

عند الفتح العربي الإسلامي للهند وأصبح للمسلمين قاعدة في بلاد السند دخل الكثير من الهنود في الدين الإسلامي هربا من نظام الطبقات البغيض المفروض من الهندوس[1] ، وتعلموا الأحكام الشرعية الإسلامية واللغة العربية من الفاتحين .وجاء ذلك تعزيزا لمبدأ التسامح الديني والمعاملة الحسنة التي اتبعها الفاتحون من تطبيقهم لشعائر الإسلام مما حدث بالهنود الى التأثر بتعاليمه والمسارعة في الدخول فيه [2] . قال تعالى : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا) [3] .

ومن الجدير بالذكر انه مع انتشار الإسلام بين صفوف الهندوس انخرط الكثيرون منهم في الأجهزة الإدارية التي شكلها المسلمون في الهند ووجدوا الوظائف والمناصب الجيدة كُلٌّ حسب الكفاءة [4] وجاء ذلك بالرغم مما عرف عن المسلمين أحيانا من تجنّب إدخال الكفار(غير المسلمين) في إدارة شؤونهم او توليتهم مناصب حساسة[5] خاصة بعد تجربة

---

(1) تالف هذا النظام من اربع طبقات هي : الشاكبيرية Shakberea أو البراهمة Brahman:وتعني (السلطة المقدسة) وهم الأشراف ورجال الدين من اصحاب البشرة البيضاء (الاريون) ، وهم اكثر البشر قدسية واحتراما في الهند . و الكشترية Kshatrea : وهم طبقة رجال الحرب والسيف والبيشية Vaishya أو الويشية وهم الصنّا ع والزرّاع واصحاب المهن (ذوي البشرة السمراء). وكان من ضمن هذه الطبقة طائفة الزط التورانيين Jat في غرب الهند والتي انصهرت في المجتمع الهندي ،. وطبقة الشودرية Shudriya : وهم من طبقة الخدم والعبيد .. ينظر : أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، (بيروت – 1981) ،ج1، ص 93؛ أبو الريحان محمد البيروني ، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، دار المطبعة العثمانية، (حيدر آباد الدكن – 1958) ، ص 76 .

(2) ياسر المشهداني : العلاقات المصرية الهندية (648-923هـ / 1250-1517م) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية (جامعة الموصل – 2000) ، ص 12.

(3) القران الكريم ، سورة النصر .

(4) Ross, E. Dunn :The Adventures of Ibn Battuta: A Muslim Traveler of the 14th Century, Berkeley: University of California Press, (London- 1986), P7 .

(5)Scott C.Levi:Hindus Beyond The Hindu Kush , Indians in the Central Asian Slave Trade , J.R.A.S., (2002) ,Vol ., 12 , P., 279 .

الأمويين مع الفرس في إدارة الدواوين والعباسيين مع البرامكة وربما لم نجد ذلك التقليد شائعاً في أي تجربة إسلامية في إقليم آخر غير الهند فهو من البلدان القليلة التي حكمها الإسلام على الرغم من وجود خليط هائل من الديانات والمذاهب .

ولعل أروع ظاهرة ألفها المجتمع الإسلامي في الهند هي منح العبيد والمماليك فرصاً كبيرة للعمل والمشاركة في الإدارة ، إذ كان اغلب العبيد جاءوا من اسر احترفت العمل في الزراعة والأمور المنزلية والخدمة كما أستخدمت النساء كجواري في البيع والإهداء ، ولذلك فقد استبقى السلاطين الهنود عليهم واستخدموهم في تلك المجالات فضلا عن عملهم في المصانع . وقد حصل عدد من أولئك العبيد على حرية اكبر ولاسيما في العهد التغلقي ، إذ يؤكد الرحالة ابن بطّوطة – باعتباره وافد الى المنطقة – وعدد من المؤرخين المعاصرين له ان من أولئك المماليك من وصل الى الحكم بفضل كفاءته وإخلاصه الواضحين ، والمقصود به هنا هو السلطان غياث الدين بلبن (656-685هـ/ 1266-1287م) [1] . وهنا لابد من الاشارة الى ان سبب كثرة العبيد في الهند وحسب رأي عدد من المؤرخين يعود الى عهد السلطان محمود الغزنوي الذي اصطحب معه عددا كبير منهم كأسرى عملوا فيما بعد في الإدارة وفي القصور في الهند، وقد كان للسلطان محمد تغلق قرابة عشرين الف من المماليك والخدم [2] .

ان هذه الإشارة مع التي قبلها لتدل على وجود أعداد كثيرة من المماليك والهنود الذين اسهم بعضهم في تسيير أمور السلطنة كما تدل على تقدير السلاطين الهنود المسلمين لخدماتهم تلك وتدل أخيرا على تعدد الأماكن التي جلبوا منها وهي على العموم من المناطق المجاورة للهند ولا سيما ما وراء النهر وسمرقند وبخارى ومن مناطق وسط آسيا وغيرها [3] .

---

(1) انظر سيرته بالتفصيل في :ابن بطوطة :المصدر السابق، ج3، ص 125 ؛ احمد محمود الساداتي : تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم ، دار الثقافة ، (القاهرة – 1972).، ج1،ص 72 نقلا عن محمد قاسم هندوشاه :تاريخ فرشته .

(2) تقي الدين أبي العباس احمد بن علي المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط المقريزية)، (ط1، القاهرة مطبعة بولاق – لات) ، ج2، ص 175؛ شبكة المعلومات ، موقع WWW. Columbia Encyclopedia .Com . عن تاريخ فرشته ، ص 60 .

(3)Levi ,S. : Op.Cit. ,P., 283 .

ونقطة اخرى : كان المغول بعد احتلالهم بغداد ينوون التوجه لاحتلال الهند والسيطرة عليها وشنوا عليها هجمات متعددة . ومن هذه الهجمات هجمة عام 703هـ/1303م التي تكونت من قوة تقدر بمائة وعشرين الف جندي من المغول جاءت لمحاصرة دلهي [1] ، وتصدى لهم السلطان علاء الدين محمد شاه ثاني سلاطين الخلجيين khalji الا ان سوء تحصيناته الدفاعية وضعف التنظيم ادى الى انسحاب القوة الاسلامية نحو قلعة سيرى Siri ومن ثم نحو البنغال مما ادى الى وصول المغول الى اجزاء بعيدة مثل غزنة وكابول . وكانت الاجراءات التي اتخذها علاء الدين ضعيفة حيث عمِد الى إيجاد صيغ من شأنها معالجة الوضع المتردّي بالبلاد فعندما احتاج الى جيش قوي مدرب ومسلح قادر على المواجهة فبدلا من ان يزيد من اعطياتهم لجأ الى تكوين مخازن كبيرة للمواد الغذائية والزراعية خاصة تابعة للدولة ووظيفتها بيع الناس المواد الغذائية باسعار اقل من اسعار التجار مما يجبر التجار على تخفيض أسعار منتجاتهم كما يجبر الفلاحين على بيع منتوجاتهم للتجار باسعار محدودة [2] .

وبالتأكيد فانه كان اراد بهذه الاجراءات تخفيف الاعباء الاقتصادية عن كاهل سكان الهند من المسلمين والهندوس والبوذيين على حد سواء .

ولنا في السلاطين المسلمين الحاكمين في الهند – ومن شهد عهدهم أمثلة كثيرة في التعايش السلمي – نخصص لاثنين من ابرزهم خلال هذا البحث بالرغم من تباعد الفترة الزمنية بينهما .

الاول هو السلطان محمد تغلق (725 –752هـ/1325–1352م) الذي يعده عدد من المؤرخين المؤسس الحقيقي للأسرة التغلقيه التي حكمت الهند في العصر الوسيط ، نظرا لطول مدة حكمه البالغة سبعا وعشرين عاما ولأعماله العديدة من اجل توطيد واستقرار الامن الهندي فقد عني بالعاصمة دلهي ثم بالأقاليم الشمالية والشرقية . وأعاد الأراضي ألزراعية والأملاك ألتي أغتصبها عنوةً الأمراء السابقون الى اصحابها ألشرعيين من الهندوس ، وعني باقليم البنغال بوصفه من اهم الأقاليم الهندية ، فعين عليه ثلاثة حكام لامعين مشتركين كلهم بجيش

---

(1) S.F.Mahmud: The Story Of Islam , (London–1965)p., 157.

(2) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ج 3 ، ص 132 .

واحد متميز وقوي معزز بخيرة الضباط على مناطق (لكنهوتي وسونارجيون وساتجاون)[1] والتي تشكل العمود الفقري للاقليم .

وقد رأى في توظيف الأجانب في دولته (والذين سماهم بالاعزة) ومكافأتهم بالهدايا والرواتب ألمغريه انها خطوة تعزز جانبه كي يكوّن جبهةً اسلاميه متماسكة في مواجهة تمردات الهندوس والأعداء الناقمين ، لذا فقد كان يولّي عدد من من يرد اليه من بلاد العرب والمسلمين ولاسيما ادارة الأقاليم لما عرفوا به من امانة وحنكة ، وقد حفلت رحلة ابن بطوطة – مثلا – باسماء كثيرة لوافدين قدموا الى الهند وتولوا وظائف مهمة في السلطنة ولعل اهمها تعيين أبن بطّوطة قاضيا لدلهي ، وتعيين الشيخ علاء الملك الخراساني اميرا على مدينة لاهري [2].

ويظهر ان جيش الهند في العصر الإسلامي كان قد دخل فيه أعداد كبيرة من غير المسلمين ، أي انه كان فوق الاتجاهات الدينية والطائفية ما دام الامر متعلقا بالحفاظ على

(1) قسمت الهند في عصر السلطنة الاسلامية الى عدة اقاليم وكان لكل أقليم كبير حاكم اقطاعي مستقل بشوؤنه يسمى (الامير) حيث يُقطعه السلطان مجموعة من الاراضي التي يعود ريعها وخراجها له عوضاً عن المرتّب ، فمثلا كان الامير على كاليكوت Kalikut هو السلطان السامري، وعلى هنور Hanovar السلطان جمال الدين محمد بن حسن ، وعلى كوليور Kuliwer ألامير أحمد بن سيرخان ، وعلى بلاد المعبر Maabar السلطان غياث الدين الدامغاني (741-744هـ/1341-1344) وعلى حانسي Hansiوعلى مسعود اباد : هوشنج بن كمال كرك ، وعلى برون Parwan ألامير محمد بن بيرم التركي ،وعلى قوقة Koka السلطان دنكول ، وعلى فاكنور Facnour الحاكم غير المسلم باسدو Paseedo (وسلطان المسلمين فيها هو ألامير حسين السلاط) وعلى منجرور Mangaror الحاكم الهندوسي رام دو Ram Doo ، وعلى هيلي Hilli الامير حسن الوزان، وعلى قندهار ألامير جالنسي وعلى كولم Kolm ملك هندوسي يدعى الطراوري Terawari ولكن أمير المسلمين بها محمد شاه بندر وعلى جرفتن Jirbattan ألاميركويل ، وكانت الحروب والنزاعات بينهم مستمرة نظراً للتنوع العرقي والمذهبي الموجود في كل منطقة ، فالكل يطمح بالسيادة والنفوذ والسيطرة على اراضي الاخر . وكثيرا ما لجأ عدد من القادة الهندوس الى الامراء المسلمين للاحتماء بهم ضد اقرانهم من الملوك والراجوات الذين يبغون التوسع على حسابهم .ينظر : Moreland ,W. : A Short History of India, (London – 1968).,p., 167

(2) ابن بطوطة: المصدر السابق ، ج3 ، ص 82.

امن المجتمع الهندي . ولهذا يمكن القول ان سلطنة دلهي كانت قائمةً برضى وتعاون جميع السكان والرعايا داخلها [1] .

ومن المحن المفصلية والكارثية من التاريخ الإسلامي في بلاد الهند نهاية العصور الوسطى هي محنة الغزو الذي طال تلك البلاد على ايدي (تيمور لنك) وجنوده في عام 799هـ/ 1397م والذي اعاد الى الأذهان ذلك الإعصار الذي خلفه المغول عقب اجتياحهم لبغداد عام 656هـ/ 1258م ، ولاسيما وان مدينة دهلي (دلهي) الهندية شكلت احدى اهم عواصم الفكر والثقافة الإسلامية تزاحم عليها المثقفون من سائر الأقطار ليحظوا برعاية سلاطينها المحبين للعلم ، ولينهلوا من شيوخها ومدارسها أنواع العلوم .

وصحيح ان الهجمة التيمورية عمقت هوّة الخلاف بين المسلمين والهندوس – في البداية – وبدأت روح عدم الثقة تسيطر على مشاعر الهندوس تجاه المسلمين خصوصا وان تيمورلنك جاء الى الهند بصفته فاتحاً مسلماً اراد نصرة الاسلام وطرد الهندوس وتدمير معابدهم الدينية الامر الذي عقد طبيعة العلاقات بين الطرفين [2] . ولكن الصحيح ايضا ان الغزو التيموري اظهر نهاية الامر ، التوحد في المواجهة من قبل المسلمين والهندوس وابناء الطوائف الاخرى ضد حملة تيمورلنك على اعتبار انها تستهدفهم جميعا وتستهدف اضطهادهم وطردهم من اوطاونهم .

والمثل الثاني هو **السلطان جلال الدين محمد اكبر شاه (963 – 1014/ 1555 – 1605م)** والذي يعده البعض المؤسس الحقيقي لدولة المغول في الهند وذلك لطول فترة حكمه البالغة خمسين عاماً اسهم خلالها بجهوده الكبيرة في سبيل رفاهية شعبه فكان سياسياً بارعا ومحارباً ماهراً ومفكراً يندر وجوده رغم اميته

ولد اكبر في مدينة ايماركوت umarkot من أعمال السند سنة 949هـ/ 1542م واعتلى السلطنة في البنجاب سنة 963هـ / 1556م ، وكان صغيراً بعمر الثالثة عشرة سنة ولما بلغ

---

(1) Husain , M.: Le Gouvernement Du Sultanat De Delhi (Paris–1936).,p.,73.

(2) احمد محمد الجوارنة : الهند في ظل السيادة الاسلامية ، دار حمادة للطباعة والنشر ، (اربد – 2006) ، ص 69 .

الثامنة عشرة من عمره تسلم مقاليد الأمور ، وكانت رقعة ملكه تمتد حينئذ فتشمل أكثر منُ ثمن مساحة الهند كلها، وشرع يوسع هذه الحدود ، واستطاع بسلسلة من الحروب أن يبسط سلطانه على الهندستان كلها ، ماعدا مملكة راجبوت التي تخضع لأسرة ميوار (1)

كانت سياساته تقوم على التسامح ، كما حاول أن يعامل المسلمين والهنود بالتساوي فقد قرر ان يجمع في شخصه السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وكان إذا ما جلس في كرسي القضاء الأعلى أنفق الساعات الطوال ينصت إلى أقوال المتخاصمين في القضايا الهامة ، وكان من قوانينه تحريم زواج الأطفال وتحريم إرغام الزوجة على قتل نفسها عند موت زوجها ، وأجاز زواج الأرامل، ومنع استرقاق الأسرى وذبح الحيوان للقرابين ، وأطلق حرية العقيدة للديانات كلها، وفتح المناصب لذوي الكفاءة مهما يكن من أمر عقيدتهم أو جنسهم (2) ، ومنع ضريبة الرؤوس التي كان الحكام الأفغان يفرضونها على الهندوسيين الذين يأبون الدخول في الإسلام ، وكان تشريعه في بداية حكمه يبيح عقوبات من قبيل بتر الأعضاء ، أما في نهاية عهده فربما بلغ التشريع في بلاده من الرقي ما لم تبلغه أية حكومة أخرى في القرن السادس عشر (3) .

وتميز أكبر بسعيه لانهاء العصبيات الدينية في بلاده ، فشجع على الزواج من الهندوكيات مع الاحتفاظ بعقائدهم وكان يتودد إلى أمراء الراجبوت بزواج بناتهم وذكرت المصادر انه نفسه تزوج من الاميرة جودا (Juda) ابنة بهرمال احد راجوات الهند سنة 969هـ/ 1562م (ورزق منها بابنه سليم جهانكير الذي اصبح سلطانا لاحقا) ، ويبدو لي ان حبه الكبير لها هو الذي دفعه لاتخاذ عدة اجراءات من شانها تخفيف الاحمال عن كاهل الهنادكة من متاعب اجتماعية ودينية واقتصادية كما سنرى .

---

(1) بيفريج : مادة : " اكبر " دائرة المعارف الاسلامية ، مج 2 ، ص 490 ؛ وول ديورانت : قصة الحضارة ، (القاهرة – 1985) ، ج1 ، ص 787 .

(2) بيفريج : المرجع السابق ، مج 2 ، ص 490 ؛ الساداتي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 108 .

(3)عادل حسن غنيم وعبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : تاريخ الهند الحديث ، ط1 ، مكتبة الخانجي (القاهرة – 1980)، ص 99 ؛ ياسر المشهداني : تاريخ الدول الاسلامية في اسيا ، دار الفكر (عمان – 2010) ص 203 .

وبهذا حقق سياسته الرامية الى كسبهم في تعضيد عرشه ووقوفهم الى صفه والدفاع عن الهند ضد الاعتداءات الداخلية والخارجية ، وأصبحت الأسرة الحاكمة المغولية منذ ذلك الحين نصف وطنية فيما يجري في عروقها من دماء ، ولقد أعلى رجلاً من أسرة راجبوت حتى نصبه قائداً أعلى لجيشه ، كما رفع أحد الراجاوات إلى منصب كبير وزرائه ، وكانت أمنيته التي يحلم بها أن يوحد الهند .

فكرة الدين الإلهي (المغالاة في التسامح)

في بداية عهده كان اكبر محافظاً على اصول الدين ويؤدي الصلوات في المسجد وفي بعض الاحيان يؤذن داعيا الناس الى الصلاة ، ويحترم رجال الدين والفقهاء وكان لا يبدأ عملا الا ان يقول : (يا هادي يا معين) وكان لهاتين الكلمتين وقع كبير يؤثر في نفوس اتباعه إذا سمعوه يرددها في المعارك يرددونها وراءه بصوت جهوري فينقضون على العدو دون خوف او وجل . وكان يعين القضاء في كافة ارجاء الامبراطوية الهندية ويستجيب لمشورة العلماء . ظل على ذلك عشرين سنة مسلماً سنيّاً خالصاً لدينة ، ولكنه انقلب فجأة الى رجل حر التفكير ونفض عن عقله وروحه هذا الاخلاص القديم وبدأ يفكر في ايجاد دين جديد فأنشأ في مدينة فاتحبور عام 983هـ/ 1575م عبدة خاة وهي دار تجمع المفكرين والفقهاء من ابناء السنة والشيعة كل يوم خميس ويناقش معهم المذاهب بغية التقريب بينها وتوحيد الاسلام وفق مذهب واحد . ثم دعا اليها أيضا رجال الدين البراهمة والزرادشتيين ، كما دعا اليها المبشرين البرتغاليين القادمين الى الهند ، وكان يجلس هو الى جانبهم ويستمع الى مناقشاتهم ويطرح عليهم الاسئلة تلو الاسئلة .

لم تكن هذه طبعا طريقة صحيحة لاستبيان الحق، بل إن مثل هذه المحافل عادة تثير خلافات وهمية وجدلا عقيما ، ولا تسفر إلا عن مزيد من اللجاج والخصومة ، لأن كل طرف من الاطراف لا يستهدف الا إفحام خصمه بأية وسيلة حتى ولو عن طريق السفسطة اللفظية واللف والدوران. ومن الطبيعي أن لا يتحقق ما أراده أكبر من هذه الجلسات. فتلك المناقشات ولدت صراعات داخل المجلس وجلبت نتائج عكسية واثارت لديهم سؤالا خطيراً هو : من له الحق في اصدار الفتوى في الامور الدينية ؟ . وبعد ذلك اقترح احد العلماء ان يكون هذا الحق للسلطان ، وتنفيذا لهذا الاقتراح اصدر اكبر فرماناً (قراراً) نص على ان تكون السلطة

الروحية (الدينية) والزمنية (المدنية) بيده واصبح الحاكم المطلق وبالتالي جرد العلماء من هذا الحق .

والمذهب الالهي الذي دعا اليه أكبر يطالب الناس بأن يعبدوا ربا واحدا ، وأكبر ظلّه على الارض. وأن يعيشوا نباتيين لا يشربون الخمر، ولا يكذبون . كما منع بموجب هذا المذهب بعض العادات المنافية للانسانية مثل : ظاهرة (ساتي Sati) التي هي من الطقوس الهندوسيه التي تقضي بأن تحرق المرأة الارملة نفسها بعد وفاة زوجها أحياناَ ، واصل تلك العادة نشأ عن طبيعة الزواج المبكر إذ ان كثيراَ من النساء يترملن وهن صغيرات السن بسبب وفاة ازواجهن . [1] وأحلّ أكبر زواج الهندوكيات الأرامل ، وكان محرما. ومنع الزواج مع وجود تفاوت سنّي فاحش بين الزوجين .

إذن مما سبق : يمكننا تعريف الدين الالهي بأنه الدين الذي ابتدعه السلطان اكبر والذي يقوم على تمجيد الله وينادي بوحدة الوجود ومزج التصوف والفلسفة بالعبادات ، وبموجبه اصبح الامام العادل (اكبر) هو ظل الله في ارضه وهو المجتهد الاكبر دون العلماء ، ومن اطاعه اطاع الله ومن عصاه فقد خسر الدنيا والاخرة .

أن تجربة أكبر في المسألة المذهبية ترتبط بسيرته الذاتيه والحوادث التي مر بها ومنها:

1- كان أكبر حادّ المزاج عنيدا لا ينتصح ولا يعير لرأي أهمية ، بل يعمل بما خطر في فكره وارتضاه ، وبدت عليه هذه الحالة منذ صباه ، إذ أحضر اليه والده همايون اكفأ الاساتذة علماَ، ولكن فشل المدرسون حتى في مجرّد تعليمه مبادئ القراءة والكتابة، وظل أميا طول حياته رغم أنه كان يعيش في جوّ مليء بالادباء والعلماء ، بل كانت عمته جلبدان في طليعة المثقفات والاديبات وزوجته السلطانة سليمة من الاديبات ومتذوقات الادب.

2- كان الى جانب أميته مهتما بجمع الكتب وفهم ما تحتويه ، ويقال إن مكتبته الضخمة حوت24 ألف مخطوط من أنفس المخطوطات ، كما درس بنفسه كتب الهندوس المقدسة وكتب البرهمنية وغيرها .

---

(1) البيروني : المصدر السابق ، ص 479 ؛ ياسر المشهداني : الهند من خلال رحلة ابن بطوطة ، دار نشر المعرفة (الرباط – 2011) ، ص 91 .

3- كان يهمّه جدا أن يجمع شبه القارة الهندية تحت سلطان واحد ، وذلك لا يتحقق في رأيه إلا إذا قضى على الاختلافات الدينية والطائفية في هذه المنطقة المتلونة بألوان الأديان السماوية والمعتقدات الوضعية [1].

ولم يكن النجاح حليف الدين الإلهي باعتباره ديناً ، ووجد أكبر أن التقاليد أقوى من أن يهدمها بقوله أن يجل عن الخطأ ، نعم إن بضعة آلاف من الناس التفوا حول الدين الجديد ، كان معظمهم ممن يريدون من وراء ذلك اكتساب حظوة عند الدولة ، لكن الأغلبية العظمى مازالت مستمسكة بآلهتها الموروثة ، وأما من الوجهة السياسية فقد كان لخطته الدينية بعض النتائج المعينة ، فلئن كان أكبر بوحيه الديني الجديد قد أبدى شيئاً من الأنانية ومن الإسراف ، فقد عوض عن ذلك خير العوض بإلغائه لضريبة الرؤوس وضريبة الحج المفروضتين على الهندوس ، وبإطلاقه الحرية للعقائد الدينية كلها ، وبإضعافه لروح التعصب الديني والجنسي وما يتبع ذلك من جمود الرأي وانقسام الطوائف ، ولقد كسب إلى جانبه بفضل دينه الجديد ولاء الهندوس ، حتى أولئك لم يعتنقوا منهم تلك العقيدة الجديدة ، فاستطاع بذلك أن يحقق غايته الرئيسية إلى حد بعيد ، وأعني بها الوحدة السياسية للبلاد [2] .

ونود هنا ان نستطرد في هذا المجال قائلين ان ديانات الهند القديمة قائمة اصلا على التوحيد[3] ، وان لم تكلها فان الصفة الغالبة عليها هي وحدانية الوجود ، ولكن سدنة وعلماء تلك الديانات والمذاهب قد باعدوا بينها وبين مبادئها الاولى فتفرقت وادخلت اليها ممارسات وطقوس جديدة .

حقيقةً ، جاءت تجربة اكبر في خلط المذاهب في الوقت الذي كانت فيه اوربا تجتاحها موجات من التعصب ، فالكاثوليك يفتكون بالبروتستانت في فرنسا ، والبروتستانت يذبحون الكاثوليك في بريطانيا ، ومحاكم التفتيش تنكل ببقايا المسلمين واليهود في اسبانيا ، ورجال الكنيسة في ايطاليا كانوا يحرقون – بتهمة الهرطقة – جمهرة من العلماء الذين تدين لهم المدنية والحضارة بالكثير [4] . ولكن خطوة اكبر في مزج المذاهب كانت خطوة جريئة لم

---

(1) الساداتي : تاريخ المسلمين ، ج 2 ، ص 143 .
(2) ديورانت : المرجع السابق ، ج1 ، ص 799 .
(3) البيروني : المصدر السابق ، ص 13.
(4) الساداتي : المرجع السابق ، ج2 ، ص 138 .

تتكرر في التاريخ كثيراً خصوصاً وانه قد سمح لنفسه بالاجتهاد الذي هو من اختصاص الفقهاء .

وهكذا يظهر أن أكبر في آخر حياته وقف على أخطائه ، فعاد الى حضيرة الاسلام، وهدم عبادة خانه التي لانجد لها أثرا في فتحپور . غير أنه فوّت على المسلمين فرصة عظيمة من فرص قوتهم . صحيح أن هدفه في توحيد الامة الهندية كان ساميا ، لكن منهجه كان خاطئا ، فلم يوحّد ، ولم يدفع بلاده على طريق النمو.

وفي نهاية عصر المغول نجد دليلا اخر على التوحد في المواجهة بين سكان الهند لطرد المستعمر البريطاني الذي حاول كثيرا اثارة الفتنة بين ابناء المجتمع الهندي .

فقد هُوجم العديد من البريطانيين في القرى الهندية وقُتلوا خلال الاشتباكات التي تلت انتفاضة مدينة ميروت. وكادت الثورة أن تنُهي الإمبراطورية البريطانية في الهند التي سرعان ما تداركت الموقف وأخمدت الثورة بوحشية كبيرة طالت الثوار والأبرياء معًا، وقُتل الآلاف. وأدى ذلك إلى تأزم العلاقات بين الطرفين وعجَّل بوضع نهاية لحكم شركة الهند الشرقية البريطانية عام1858 م. وتولت الحكومة البريطانية مقاليد الأمور .

2) امثلة التعايش في الجانب الاقتصادي

تعد التجارة من أقدم مظاهر الصلات بين العرب والهند ونظراً لما عرف به التاجر المسلم من أخلاق حميدة ومصداقية في التعامل إذ أصبح داعية للإسلام فضلاً عن عمله التجاري ولاشك أن هذا العامل يتعلق بطبيعة العمل التجاري ومتطلباته وهذا ما كان يدركه التاجر العربي المسلم فهو بقدر ما يهمه عمله التجاري كان يهمه أيضاً حسن المعاملة والعلاقة الودية مع الأهليين والتي تمكنه من التغلغل في الوسط الاجتماعي الجديد[1] وقد شكل رصيد كبير من الصلات التجارية السابقة بين التجار المسلمين والهنود في تعرفهم على ملامح الدين الجديد وأركانه ومبادئه . لقد قامت علاقات طيبة بين التجار العرب المسلمين وبين الحكام والأمراء الهنود الذين منحوهم الحماية والرعاية وأضفوا عليهم الامتيازات بسبب ما ناله هؤلاء الحكام من فوائد اقتصادية ترتبت على هذه التجارة النشطة التي أنعشت بلادهم، وكان لاستقرار هؤلاء التجار دوره في نشر العقيدة الإسلامية في الهند

(1)الطحطوح : المرجع السابق، ص41.

وقد أقام العديد من التجار المسلمين علاقات تجارية مع مرافئ كوجرات وساحل ملبار واستقروا في تلك المدن. ويُحتمل أن تكون عائلاتهم قد أقامت مواقع استيطانية في الهند. ومعروف عن التاجر المسلم ان لا يتعامل في الربا ولا يبيع بيعة فوق اخرى ويؤدي الفروض في أوقاتها ، وينتقى البضاعة الجيدة فضلا عن مصداقيته بالتعامل . مما جعله من افضل الدعاة الى الاسلام . كما أقيمت أسواق المسلمين وسواهم من الهنود جنبا الى جنب وعرض كلا الطرفين منتجاتهم في تلك الاسواق بمنافسة شريفة بعيدا عن التعصب والحسد والكراهية كالتي نشهدها في عدد من أسواق اليوم .

3) امثلة التعايش في الجوانب الدينية والثقافية والاجتماعية

مثلما سمح السلاطين المسلمين في الهند للهنود بالاحتفاظ بدينهم وحرية ممارستهم عقيدتهم وبناء معابدهم ، فقد سمح حكام الهند للمسلمين (وخاصة في الأماكن التي تواجد فيها المسلمين بقلة) ببناء المساجد وممارسة الشعائر الدينية الخاصة. وكانت المساجد تبنى بالقرب من الكنائس والمعابد الهندوسية ورغم ذلك ولم نجد اشارة الى أي اعتداء او انتهاك لحرمة ديانة احد الطرفين .

عرف الهنادكة بعبادة قوى الطبيعة وعدد من الحيوانات حتى غدت كثير من الأشياء في الحياة معبودة ومقدسة فتعددت الآلهة وتمثلت بأشجار وأبطال تجسد فيها الإله، ومعادن وأنهار[1] وحيوانات مختلفة قدست بشكل كبير لاسيما البقرة التي عرفت في الديانة الهندوسية بقدسيتها وتحريم ذبحها وعدم إيلامها[2]، ففي أحكامهم "**من ذبحَ بقرة ذُبِحَ بها**"[3]. ورغم ذلك فقد احترم المسلمين تلك الحرمة وتحاشوا ذبح البقر في الهند قدر المستطاع .

وفي مجال العلوم والمعارف اتاح الإسلام للهنود حرية التعليم بعد ان حرمتها الهندوسية على اتباعها دون طبقة البراهمة وطبقة النبلاء فضلا عن حرمان المرأة من التعلم . جاء ذلك

(1) احمد شلبي : مقارنة الأديان، ط3، مكتبة النهضة، (القاهرة – 1967)، ج3، ص44.
(2) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت – 1890)، ص7.
(3) أبو علي احمد بن عمر بن رسته : الأعلاق النفيسة، مطبعة بريل، (ليدن – 1891)، ص135.

بالرغم من معرفة الهنود وبروزهم في عدد من العلوم ، وقد مدح الجاحظ الهنود لإنجازاتهم العلمية في كتابة لغتهم ، ولإنجازاتهم في مجال علم الرياضيات .

وخير مثال على التعايش السلمي في المجال الثقافي ، هو وجود العالم المسلم البيروني(ت 440هـ/ 1048م) الذي ارتحل باتجاه بلاد الهند، حيث مكث أربعين سنة عندهم واحتك بحياتهم اليومية. كما جاب بلاد الهند باحثاً منقبا ً، مما أتاح له أن يترك مؤلفات قيمة لها شأنها في حقول العلم. وقد عاد من الهند إلى غزنة ومنها إلى خوارزم حيث توفي . ترك البيروني ما يقارب المائة مؤلف شملت حقول التاريخ والرياضيات والفلك وسوى ذلك، وأهم آثاره: كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، كتاب تاريخ الهند، كتاب مقاليد علم الهيئة وما يحدث في بسيطة الكرة، كتاب القانون المسعودي في الهيئة والنجوم .

لقد تحدَّث البيروني الذي رافق اجتياح محمود الغزنوي لشبه القارة الهندية بشكل إيجابي عن البوذية ، وكتب عن الهنود أنهم يتعاملون مع بوذا على أنه نبي. ولعل هذا يرتبط باطلاعه على المفهوم الفارسي الوسيط بوركسان ، الذي يعني: النبي ، والذي يستخدم لوصف بوذا في النصوص الصغديانية والبوذية الأويغورية ، وقبلها في النصوص المانوية كان يستخدم لوصف جميع الأنبياء. ولعل الأمر يرتبط أيضًا بمسألة قبول البوذيين بوصفهم من "أهل الكتاب"، ومعاملتهم مع الهندوسيين والجاينيين على أنهم "أهل ذمة"، بعد ما مرَّ عليهم من دمار كبير في أول الأمر. ولعل ذلك دليل على أن الغزنويين لم يضطهدوا البوذية او الهندوسية (خلال مراحل سيطرتهم الأولى) على مدن صغديا وباكتريا أو كابول [1].

وعندما انتهى العصر المغولي عام 1857م وتمكن البريطانيون من السيطرة على شبه الجزيرة الهندية ووضعها تحت سيطرة التاج البريطاني لتبدأ صفحة جديدة من تاريخ الهند الحديث بادر المحتل الى اثارة الفتن بين الطرفين ومن اشكال ووسائل تلك الفتن ان يذبحوا بقرة ويضعوها ام احد المعابد ثم يقتلوا خنزيرا ويضعوه امام احد المساجد .

وفي النواحي الاجتماعية كان المسلمون و الهنود يتشاركون في الاحتفالات والأعياد والأفراح فضلا عن الأكلات والاشربة والأطعمة ما خلا المحرم منها ولعل ابرز أعياد

(1) ألكسندر بيرزين : التفاعل التاريخي بين الثقافتين البوذية والإسلامية قبل الإمبراطورية المنغولية ، منشور على شبكة الانترنيت 1996 .

المسلمين التي ذكرها في الهند :اقامة العيدين المباركين (عيد الفطر، وعيد الأضحى) ثم عيد المولد النبوي الشريف ، ويوم عاشوراء وليلة النصف من شعبان . اما أعياد الهندوس فقد كانت كثيرة وعلى الرغم من انه ذكر عيد النوروز الا انها كانت تصل الى سبعين عيدا ولكن ليس معظمها مشهورا بل هي محلية ومختصة ببعض الطوائف مثل عيد (رافي) وهو عيد المحبة وعيد (ديوالي) وهو عيد الشمع[1] وتزخر كتب التاريخ والرحلات بالكثير من النصوص التي تدل على ذلك .

الخاتمة

1- رغم الفترة الطويلة لتواجد المسلمين في الهند الا اننا لم نجد ما يشير الى حالات تنازع وصراع باستثناء اوقات الحروب والتوسع والسيطرة السياسية التي كان يقوم بها الحكام .

2- إن التعايش بين الأديان كان سهلا في الماضي، ولا شك أن ثورة المعلومات الحديثة والتي تمثلت في استخدام الملايين لشبكة الإنترنت، جعلت العالم أشبه بالقرية الصغيرة، وسهّلت التواصل والتعارف بين البشر من شتى الجنسيات والأديان، واختصرت السنين بثوانٍ معدودة، والاستزادة بالمعلومة، بضغطة زر واحدة. ولعل كل هذا يزيد من سهولة التفاهم والتعايش السلمي بين الاتجاهات المختلفة والمتعارضة .

3- ساهم الدين الاسلامي في رقي الهنود وتطور حضارتهم وأضاف اليهم الكثير في مختلف المجالات ، وقد اعترف الهنود بهذا الفضل وادخلوا العديد من التقاليد والعادات الاسلامية في حياتهم اليومية وممارستهم العامة .

References:

- Abi AL Qasima: Masalik Al Mamaliki, matbaeat bril lidin - 1889, 3200 .

(1) البيروني : المصدر السابق ،ص 488 ؛ الندوي : الهند القديمة، دار الشعب ، (بغداد – 1970) ص 286.

- Abu AlFada : AlMukhtasar fi Akhbar AlBashari, almatbaeat alhusayniati, Cairo - 1985, 520.

- Abu AlFada : Taqwim AlBuldan : rihlat abn batutata, dar sadir, Beirut - 1964, 430 .

- Abu AlFath AlShahristaniu : AlMilal and AlNihl, dar almaerifati, Beirut- 1975, 1400 .

- Abu Ashiq AlIastkhari : AlMasalik W AlMamalika, matbaeat biril - 1927 , 102-103.

- Abu Hafs Abn Al Wardii : Khuridat AlEajayib Algharayibi, matbaeat euthman 'afindi, Cairo - 1863 , 650 .

- Abu Yaelaa Al Musili: Musnad 'Abi Yaelaa , dar almamun lilturath Damascus- 1984 , 1200 .

- Alfiruz Abadi : AlQamus Al Muhit , Beirut - 2010, 420.

- Eaz AlDiyn Bn AlUthir : AlKamil fi AlTaarikhi, almatbaeat alkubraa, Cairo - 1967, 430.

- Eimad AlDiyn Abu AlFada : Taqwim Al Bildan, dar almatbaeat alsultaniati, Paris - 1840 , 359.

- Ghrighuryus Abi AlFaraj, Harun Abn Aleibrii : Tarikh Alzaman, dar almashriqa, Beirut- 1986, 240.

- Han Amili : AlHinda, Tarjamat Eafaf Muhamad Fuaadi, dar almaearifi, Cairo - 1964, sa20**.**

- Iibrahim Mustafaa , Al Muejam Al Wasit , majmae allughat alearabiat, Damascus - 1994 , 2100 .

- Muhamad Mursi Abu Allayl :India in Middle Ages, Cairo - 2001, 640 .

- Muhamad Ismail AlNadawiu : Tarikh AlSilat Bayn AlHind W AlBilad AlEarabiati, dar alfatha, Beirut- 2010, 230.

- Ridwan Muhamad Radwan, Fatuh AlBildan, dar alkutab, Beirut - 1978, 3400 .

- Shakhat Wabuzurth : Heritage of Islam ,silsilat ealam almaerifati, alkuayt - 1978, 430 .

- Shams AlDiyn AlMuqdasii : Ahsan Al Taqasim fi Maerifat AlAqalim lidn, matbaeat bril - 1906 , 480.

- Tufiq Sultan Al Yuzbaki : Dirasat Fi Al Nuzum W Al Hadarat AL Iislamiat , dar alkutub almuasil 1979 , 410 .

- Zakaria Bin Muhamad AlQazwinii : Athar Al Bilad W Akhbar AlEabadi, dar sadr, dar Beirut,1960, 428 .

Peaceful coexistence between Muslims and Indians during the Islamic era

Yasir Abd Aljawad Almashhadani*

Abstract :

There is no doubt that the Arab-Indian relations before Islam were friendly and ongoing to the fullest extent at various levels. After the advent of the Islamic religion and its spread outside the Arabian Peninsula and then its entry into the Indian sub-continent

***Prof. Asst. / Department of History / College of Education for Human Sciences / University of Mosul.**

since the end of the first century AH / 7 AD (in the areas of Sindh and Punjab in particular) strengthened relations between Muslims and Indians, especially when the indigenous people were introduced to the traditions and teachings of Islam, Love, equality and cooperation

We have shown remarkable evidence of the unprecedented peaceful coexistence desired. The two parties have set the best examples of peaceful coexistence over the centuries in which Muslims have been present in the Indian subcontinent.

The examples and texts of peaceful coexistence were distributed according to the civilized order known from the political, administrative and military side, through the economic and cultural aspects, and ending with the social aspect as well as other aspects.

The study did not neglect to rely on the relevant sources and references related to the Islamic opening of India and the other shows the corruption found among the conqueror Muslims - who became rulers later - and the Indian society, which consists of a mixture of (Hindus, Buddhists, Jainians and other religions).

Key words : war، division، fighting